كيف روت "اسرائيل" قصة الكرامة للعالم

جويس قاضي

ان الاقاصيص الشعبية التي يتناقلها اي جيل عن الجيل الذي سبقه غالبا ما تعبر عن الطريقة التي كان يفكر بها الناس ويتصرفون ويحسون خلال فترات سابقة من تطورهم الحضاري ، وهي باستمرار ترضي الحاجات المشتركة لهؤلاء الناس في التوق الى الامان والحب والاحساس بالقدرة على تسيير امورهم الذاتية . وتقاليد البلاد التي تنهل منها هذه الاقاصيص موضوعاتهـا الاساسية هي كذلك مـن الامور العامة . ومجموعة الاقاصيص الشعبية « الاسرائيلية » التي جلبها المهاجرون اليهود معهم من مواطنهم الاصلية الى فلسطين خالية بالطبع من أية سمات اسرائيلية قومية كتصوير الحياة في الريف والعادات والطقوس أو اي سرد لحوادث الماضي السحيق ، ولكن هذه الاقاصيص تحمل معها بعض الخصائص كالدهاء والمكر على الصعيدين الشخصي والتجاري والتقتير والحذر والابتعاد عن الآخرين الذين قد لا يشاطرونهم طرائقهم في الحياة .

وفي العام ١٩٦٨ جرت محاولة لنشر قصة انتصار اسرائيلي تقوم على اساس موضوع حقيقي حدث بالفعل . وهي تضم تقريبا كل خصائص القصة الشعبية : التركيز الظاهر على موضوع معين والمبالغة والشخصيات التقليدية الثابتة التي باتت مألوفة ـــ ابطال يمثلون الخير يقارعون آخرين يمثلون الشر ، وفي النهاية تكون الغلبة للخير ، بالطبع . وخلال الايام الثلاثة التي أعقبت غارة الجيش الاسرائيلـي على قرية الكرامة الاردنية العربية قامت صحيفة « جروسالم بوست » الاسرائيلية ومجلتا « جويش كرونيكل » و« جويش اوبزرفر » الصهيونيتان الصادرتان في لندن بتقديم عناصر هذه القصة الى الرأي العام في الغرب . وقد كان بالامكان ان تنال هذه القصة الشهرة ذاتها التي نالتها قصة اسرائيل « الضعيفة » و« المحاصرة » التي صمدت في ١٩٦٧ في وجه « الخطر العربي الداهم » ، ولكنها اخفقت في ذلك . وقبل أن نبحث في فشل هذه القصة في أن تصبح رائعة دعائية وقصة اسرائيلية شعبية مترسخة ، سنعالج القصة نفسها من زاوية ادبية بحتة .

الموضوع : الهجوم دفاعا عن النفس

لا يختلف موضوع قصة الكرامة عن المواضيع التي تقوم عليها غالبية الاقاصيص الشعبية المماثلة ، فهي تدور حول صراع ، في فترة زمنية معينة ، بين الخير والشر . وبشكل مختصر ، موضوع قصتنا هو ان على اسرائيل دفاعا عن نفسها أن تضع حدا لـ «ارهاب فتح الوحشي » بعملية حربية هجومية وذلك بعد أن « استنفدت كافة الطرق لحماية المدنيين الاسرائيليين » . وتأييدا لمزاعم الدفاع عن النفس تكهنت المخابرات العسكرية الاسرائيلية ، التي تمثل هنا دور المنجم ، بأن فتح ستقوم بموجة جديدة مـن عمليات الارهاب . وهذا ما دفع المسؤولين الاسرائيليين الى وصف « عقوبة » تدمير القاعدة وقتل بعض الفدائيين واسر البعض الاخر بانها عبارة عن « ضربة ـــ ضرورية ـــ مدوية